مذبحة الحرم الإبراهيمي

25 فبراير 1994 ـ الجمعة الأخيرة في رمضان بعد اتفاقات أوسلو أصبحت مدينة الخليل بالضفة الغربية موضع اهتمام خاص، على ضوء أجواء التوتر التي أحاطت بالمستوطنين الإسرائيليين بعد طرح السؤال: هل يجري إخلاء المستوطنات وترحيل المستوطنين فيها في إطار مفاوضات الحل النهائي بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟.

وتكمن هذه الأهمية الخاصة في أن مدينة الخليل تُعَد مركزاً لبعض المتطرفين من المستوطنين؛ نظراً لأهميتها الدينية؛ وإن جاز القول؛ فالخليل ثاني مدينة مقدَّسة في أرض فلسطين بعد القدس الشريف.

وفي فجر يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان الموافق 25 فبراير عام 1994؛ سمحت القوات الإسرائيلية التي تقوم على حراسة الحرم الإبراهيمي بدخول المستوطن اليهودي المعروف بتطرفه "باروخ جولدشتاين" إلى الحرم الشريف وهو يحمل بندقيته الآلية وعدداً من خزائن الذخيرة المجهزة، وعلى الفور شرع جولدشتاين في حصد المصلين داخل المسجد.

وأسفرت المذبحة عن استشهاد 60 فلسطينياً، فضلاً عن إصابة عشرات آخرين بجروح، وذلك قبل أن يتمكن من تبقَّى على قيد الحياة من السيطرة عليه وقتله.

ولقد تردد أن أكثر من مسلح إسرائيلي شارك في المذبحة، إلا أن الرواية التي سادت تذهب إلى انفراد جولدشتاين بإطلاق النار داخل الحرم الإبراهيمي. ومع ذلك فإن تعامل الجنود الإسرائيليين والمستوطنين المسلحين مع ردود الفعل التلقائية الفورية إزاء المذبحة التي تمثلت في المظاهرات الفلسطينية، اتسمت باستخدام الرصاص الحي بشكل مكثَّف، وفي غضون أقل من 24 ساعة على المذبحة؛ سقط 53 شهيداً فلسطينياً أيضاً في مناطق متفرقة ومنها الخليل نفسها.

وسارعت الحكومة الإسرائيلية إلى إدانة المذبحة معلنةً تمسكها بعملية السلام مع الفلسطينيين، كما سعت إلى حصر مسئوليتها في شخص واحد هو جولد شتاين. واكتفت باعتقال عدد محدود من رموز جماعتي كاخ وكاهانا ممن أعلنوا استحسانهم جريمة جولد شتاين، وأصدرت قراراً بحظر نشاط المنظمتين الفج؛ ولكن من الواضح أن كل هذه الإجراءات إجراءات شكلية ليس لها مضمون حقيقي؛ فالنخبة الإسرائيلية، وضمنها حكومة ائتلاف العمل، تجاهلت عن عمد المساس بأوضاع المستوطنين، ومن ذلك نزع سلاحهم ولا شك في أن مستوطنة كريات أربع في قلب الخليل (وهي المستوطنة التي جاء منها جولد شتاين) تمثل حالة نموذجية سافرة لخطورة إرهاب المستوطنين الذين ظلوا يحتفظون بأسلحتهم، بل حرصت حكومة العمل، ومن بعدها حكومة الليكود على الاستمرار في تغذية أحلامهم الاستيطانية بالبقاء في الخليل ودغدغة هواجسهم الأمنية بالاستمرار في تسليحهم في مواجهة الفلسطينيين العزل؛ بل تعمدت حكومتا العمل والليكود كلتاهما تأجيل إعادة الانتشار المقرر بمقتضى الاتفاقات الفلسطينية الإسرائيلية؛ كي تضمن لحوالي أربعة آلاف مستوطن يهودي بالخليل أسباب البقاء على أسس عنصرية متميِّزة (أمنية ومعيشية) في مواجهة مائة ألف فلسطيني لا زالوا معرَّضين لخطر مذابح أخرى على طراز جولد شتاين.

وتكمن خطورة جولد شتاين في أنه يمثل نموذجاً للإرهابي الصهيوني الذي لا يزال من الوارد أن تفرز أمثاله مرحلة ما بعد أوسلو. ورغم أن مهنة جولد شتاين هي الطب فقد دفعه النظام الاجتماعي التعليمي الذي نشأ فيه كمستوطن، إلى ممارسات عنصرية اشتهر بها ومنها الامتناع عن علاج الفلسطينيين، وجولد شتاين يطنطن بعبارات عن استباحة دم غير اليهود، ويحتفظ بذكريات جيدة من جيش إسرائيل الذي تعلَّم أثناء خدمته به ممارسة الاستعلاء المسلح على الفلسطينيين، وهو في كل الأحوال كمستوطن لا يفارقه سلاحه أينما ذهب. وما يبرهن على قابلية تكرار نموذج جولد شتاين مستقبلاً: قيام مستوطن آخر بإطلاق النار في سوق الخليل على الفلسطينيين العزل بعد ثلاثة أعوام من مذبحة الحرم الإبراهيمي. إضافة إلى تحوّل قبر جولد شتاين إلى مزار مقدَّس للمستوطنين الصهاينة في الضفة الغربية.

شهداء مجزرة الحرم الإبراهيمي

N	اسم الشهيد	مكان الولادة	تاريخ الولادة	الجنسية	مكان الاستشهاد
1	رائد عبد المطلب حسن النتشة	الخليل	1974	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
2	علاء بدر عبد الحليم طه أبو سنينه	الخليل	1977	فلسطيني	الخليل
3	مروان مطلق حامد أبو نجمة	الخليل	1962	فلسطيني	الخليل
4	ذياب عبد اللطيف حرباوي الكركي	الخليل	1970	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
5	خالد خلوي أبو حسين أبو سنينه	الخليل	1936	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
6	نور الدين إبراهيم عبيد المحتسب	الخليل	1972	فلسطيني	الخليل
7	صابر موسى حسني كاتبة بدر	الخليل	1957	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
8	نمر محمد نمر مجاهد	الخليل	1960	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
9	كمال جمال عبد الغني قفيشة	الخليل	1981	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
10	عرفات موسى يوسف برقان	الخليل	1966	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
11	راجي الزين عبد الخالق غيث	الخليل	1947	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
12	وليد زهير محفوظ أبو حمدية	الخليل	1981	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
13	سفيان بركات عوف زاهدة	الخليل	1973	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
14	جميل عايد عبد الفتاح النتشة	الخليل	1946	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
15	عبد الحق إبراهيم عبد الحق الجعبري	الخليل	1939	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
16	سلمان عواد عليان الجعبري	الخليل	1957	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي

17	طارق عدنان محمد عاشور أبو سنينه	الخليل	1980	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
18	عبد الرحيم عبد الرحمن سلامة	الخليل	1946	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
19	جبر عارف أبو حديد أبو سنينه	الخليل	1983	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
20	حاتم خضر نمر الفاخوري	الخليل	1968	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
21	سليم ادريس فلاح ادريس	الخليل	1967	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
22	رامي عرفات علي الرجبي	الخليل	1983	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
23	خالد محمد حمزة عبد الرحمن الكركي	الخليل	1976	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
24	وائل صلاح يعقوب المحتسب	الخليل	1966	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
25	زيدان حمودة عبد المجيد حامد	الخليل	1968	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
26	أحمد عبد الله محمد طه أبو سنينه	الخليل	1969	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
27	طلال محمد داود محمود دنديس	الخليل	1968	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
28	عطية محمد عطية السلايمة	الخليل	1961	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
29	إسماعيل فايز إسماعيل قفيشة	الخليل	1966	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
30	نادر سالم محمد صالح زاهدة	الخليل	1975	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
31	أيمن أيوب محمد القواسمي	الخليل	1973	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
32	عرفات محمود أحمد البايض	الخليل	1966	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي
33	محمود صادق محمد أبو زعنونة	الخليل	1945	فلسطيني	الحرم الإبراهيمي